

الجيش السوري في تدمر... أين من هنا؟

2016-03-30 عريب الرنتاوي

الاتفاق "الكيماوي" الذي أبرم بين موسكو وواشنطن في أواسط أيلول/سبتمبر 2013، أبقى الرئيس السوري في موقعه لثلاثة أعوام، ومنع ضربة عسكرية أمريكية كان يمكن أن تكون "ماحقة"، ومنح النظام جرعة حياة إضافية، حتى وإن كان الثمن، تجريد سوريا من أنيابها ومخالبتها الكيماوية... اليوم، تبدو الحرب على "داعش"، والانتصارات التي سجلت في سياقاتها من قبل التحالف الروسي-السوري، بمثابة جرعة ثانية من "أكسير الحياة"، تراهن دمشق على "صرفها" على موائد التفاوض في جنيف وغيرها.

وإذ قُدِّرَ للتقدم الذي أحرزه الجيش السوري في تدمر وجوارها، أن يتواصل على المنوال ذاته، وصولاً إلى دير الزور والرقّة، فسيصبح بمقدور الأسد أن يزار بكل طاقته: أنا وحدي من بمقدوره اجتثاث الإرهاب من سوريا، ومن حقي وحدي أن احصل على "الجائزة الكبرى"، والمساهمة من "مواقعي" كرئيس للجمهورية وقائد أعلى للقوات المسلحة، في تقرير مستقبل سوريا.

الاتصال الذي أجراه الرئيس الروسي بنظيره السوري مهناً بالنصر في تدمر، ربما حمل في طيّاته، رسالة من هذا النوع، وإن كان من السابق التكهّن بـ "نهاية مطاف" الاحتضان الروسي لشخص الأسد... الترحيب غير المسبوق، الذي صدر عن الأمين العام للأمم المتحدة باستعادة تدمر، يأتي في سياق "الرضوخ الدولي" للأمر الواقع في الميادين السورية... وقبل الاتصال والترحيب، كان اللقاء غير المسبوق في جنيف، بين فيديريكا موغريني وبشار الجعفري... يبدو أن الحبل على الجرار.

في الحرب الدائرة رحاها على "داعش" في سوريا، ثمة ميزة إضافية للتحالف الروسي - السوري، لم تتوفر لواشنطن وتحالفها الدولي الفضفاض... هنا تتوفر موسكو ودمشق، على مزيج من القوات البرية والجوية، هنا يمكن للضربات الجوية المركزة أن تعطي أكلها، طالما أن هناك قوات على الأرض، تقطف الثمار وتحصد النتائج... الأمر مختلف تماماً بالنسبة لواشنطن وتحالفها الدولي.

لا تمتلك واشنطن حلفاء "وازين" عسكرياً على الأرض غير وحدات الحماية الشعبية الكردية وقوات سوريا الديمقراطية... وهذه على الرغم من شجاعتها في الميدان، ونجاحاتها المتلاحقة في تحقيق اختراقات على محاور وجبهات عدة ضد "داعش"، إلا أن ثمة قيوداً محلية وإقليمية، تحول دون أن تكون هذه القوات، "فرس الرهان" الذي سيكسب السباق لتحرير المناطق المحتلة من قوات "الخلافة البغدادي".

محلياً، سيجد كثيرون من العرب صعوبة في استيعاب وتقبل الطموحات الكردية الجامحة للتوسع و"التكريد" و"الفدرلة"... وإقليمياً، سيظل "الفيتو" التركي على قيام كيان كردي ثانٍ على حدود البلاد الجنوبية، عاملاً معرقلاً لتوسع نفوذ وسيطرة الوحدات وقوات سوريا الديمقراطية... هذا الرهان، محفوف بكثيرٍ من التحديات والمخاطر، وله حدود وسقوف تجعل يد وزير الدفاع الأمريكي مغولة إلى عنقه... أما الرهانات على "معارضة معتدلة" و"جيش حر"، فقد جربت عشرات المناطق في عشرات المواقع شمالاً وجنوباً، وثبتت خيبتها، وليس هناك ما يدعو للثقة بأن الرهانات المستقبلية، ستكون أوفر حظاً من الرهانات السابقة.

يبقى لواشنطن خياران اثنان، لا ثالث لهما، وكلاهما يبدو مكلفاً وكلاهما يبدو مستبعداً... الأول؛ استدعاء قوات عربية وإسلامية حليفة لتنفيذ الشق البري من معادلة تطهير شمال شرق سوريا من داعش... هذا خيار، دونه خطر القتاد، وقد يفتح الباب لحرب إقليمية ودولية، وهو على أية حال، تراجع كثيراً من التداول، بعد أن ظل وزير الخارجية السعودية، يتحدث عنه في كل مناسبة، وأحياناً من دون مناسبة.

والثاني؛ إرسال قوات برية أمريكية - أطلسية، وهذه أيضاً فرضية مستبعدة، فالرئيس أوباما الذي وصل إلى البيت الأبيض مرتين تحت شعار: لا للحرب ونعم لسحب الجنود من العراق وأفغانستان، برهن في غير منعطف واستحقاق، أنه لن يتورط في سيناريو "إرسال الجنود إلى أرض المعركة"، وهو في موقفه "الصلب" هذا، يلقي تأييداً كبيراً من قبل الأمريكيين، والسنة الراهنة في الولايات المتحدة، هي سنة انتخابات، والخطأ فيها قد يتحول إلى خطيئة.

لذلك كله، أحسب أن موسكو ودمشق، هما من سيتولى مهمة تحرير بقية الأراضي السورية من

سيطرة داعش، وتصفية وجود التنظيم الأكثر دموية، في المناطق التي سيطر عليها، والتي بلغت ذات يوم، نصف مساحة سوريا تقريباً... عندها، أو بعدها، سيكون شعار "لا دور للأسد في مستقبل سوريا"، عصياً على "الصرف والنحو"، حتى وإن ظل يتردد على ألسنة "فرسان الائتلاف" ورعاتهم.

من مصلحة المعارضة الوطنية والديمقراطية والعلمانية في سوريا، أن تركز جهودها على إطلاق عملية سياسية ذات مغزى في سوريا، وبضمانات دولية (وبالأخص روسية)، قد تنتهي، وقد لا تنتهي، بخروج الأسد من مستقبل سوريا... أما الإصرار على "التنحي" و"التنحية" كشرط مسبق، فأحسب أن وقائع الميدان وتطورات الحرب، ستجعله أمراً غير مسلٍ على الإطلاق.

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية